

الأول على حسن الفهلوى بالقاهرة وجزء من الوجه البحرى . واختص الثانى بالاسكندرية وجزء آخر من الوجه البحرى . كما اختص الثالث بالوجه القبلى أما الرابع فهو معهد الصحف والمجلات التى تصدر بلغات أجنبية فى مصر . فرنسية أو إنجليزية أو يونانية . أو إيطالية . أو أرمنية . عقد الأربعة شبه حلف بينهم . لا يعتدى أحدهم على منطقة نفوذ الآخر . وانقضت أعوام عديدة على « احتكارهم » لمهمة التوزيع . وقد لا يحس القراء بمخطورة هذه المهمة . وأثرها البالغ على الصحافة فى مصر . سياسية أو أدبية . أو فنية . إذ لا يكاد هؤلاء القراء تقع أبصارهم على أسمائهم إلا منزوية فى ركن ما من الصحيفة أو المجلة وبجانبا ما يشير إلى أنهم متعهدو توزيعها . ولكنهم فى الواقع - رغم أنهم لم ينالوا أى قدر من التعليم أو المعرفة ورغم أنهم يمارسون مهمة التوزيع بأسلوب بدائى - يتحكمون فى أقدار الصحف والمجلات فى مدى انتشارها . فى صلة كبار كتابها ومحرريها وبينهم ألمع الأسماء بقرائهم . فى موارد الصحيفة أو المجلة من البيع . فى الإعلانات وهى وثيقة الصلة بمدى الإنتشار وهؤلاء « المتعهدون » يقابلون بكل ترحاب فى إدارات الصحف والمجلات رغم ثقة رؤساء التحرير بأن أحدا من هؤلاء المتعهدين الأباطرة لا يستطيع أن يقدر ما بذل فى الصحيفة من جهد تحريرى . أو أن يقوم اتجاها سياستها . أو أن يزن ما تنشره المجلة من دراسات أو أبحاث أو قصص .. هم لا يستطيعون قراءة ما يتعهدون بتوزيعه . ولكنهم - مع ذلك - لسيطرتهم على شبكة واسعة من « المعلمين » الذين يساعدهم فى أحياء العواصم والبنادر . ومن أتباع هؤلاء « المعلمين » فى المراكز والمدن الصغيرة الذين يتحكمون بدورهم فى باعة الصحف - يستطيعون أن يؤثروا تأثيراً رهيباً على التوزيع .. فهناك عوامل شتى تؤثر على هذا التوزيع . صعوداً أو هبوطاً .. نزول الصحيفة أو المجلة إلى السوق فى الموعد المحدد لها . طريقة النداء على الصحيفة أو المجلة . والترويج لها أثناء النداء عليها بذكر اسم كاتب له مكانة شعبية خاصة يشترك فى تحريرها . وتكرار النداء عليها بصوت يختلف علواً . وانخفاضاً طبقاً لتعليمات . المعهد . إبراز الصحيفة أو المجلة عند عرضها على يد البائع . أو إخفاؤها خلف غيرها مما يراد الترويج له . بل أحياناً تركها تحت مقاعد المقاهى « البلدية » التى يملكها بعض هؤلاء المتعهدين ويتخذونها « إدارات » للتوزيع ! أو ترك كميات كبيرة من أعدادها تحت تلك المقاعد دون عرضها للبيع حتى يمين موعد المحاسبة عن الكمية التى تم بيعها . فتعاد تلك الكميات بربطها إلى إدارة الصحيفة أو المجلة . وهذه الكميات المعادة هى التى تسمى فى الاصطلاح الصحفى « المرتجع » أى أعداد الصحيفة أو المجلة التى عرضت للبيع ولم يتم بيعها . وبالتالي لا يتم المحاسبة عليها . وإنما تعاد لكى تباع بالأفة أو الطن لتجار تخصصوا فى شرائها لبيعها بالتالى لأصحاب الحوانيت الذين هم فى حاجة إلى أوراق لف لما يبيعونه من ماكولات ! و « المرتجع » . هو الشبح الخيف الذى يهرب صحفى مصر . كبارهم وصغارهم ! إنه - رضوا أو كرهوا - المقياس الذى يبت فى مدى استجابة القراء لهم .

تواردت هذه الخواطر علىّ عندما وكلنى سطوحى عبد الله متعهد الوجه القبلى فى نزاع هام تحدثت عنه الصحف بينه وبين الأستاذ محمد توفيق دياب صاحب ورئيس تحرير صحيفة « الجهاد » معروض على قضاء الأمور المستعجلة .